التحقيق والقراءة:

إشكالية المصطلح وثنائية التعامل مع النص

مراجعة علمية نقدية

خالد فهمي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

ملخص

يفحص هذا البحث كتاب (القراءة والتحقيق) للدكتور فيصل الحفيان، بوصفه عملًا يفتتح مجالًا جديدًا يستهدف إحياءَ القولَ في عددٍ من الإشكاليات في ميدان التنظير لعلم تحقيق النصوص التراثية، ويقف أمام مجموعة من المسائل العلمية التي يثيرها الكتاب:

- الانتماءات المعرفية الممكنة للكتاب وقيمته.
- فحص آفاق استثماره في المستقبل .
- فحص خطاب المتبقي مما يثيره من إشكالات.

وقد كشف الفحص عن قيمة مثل هذا الطرح الذي يمنحه الكتاب لمجال تحقيق النصوص التراثية؛ بهدف تجديد ما تقادم العهد به من جانب، والاستجابة لما جَدَّ في هذا الميدان المعرفي من جانب آخر.

٠- في جدوىٰ معاودة النظر في مشكلات التحقيق

تتجلىٰ قيمة هذا الكتاب الجديد في الحقيقة من أمرين ظاهرين، هما:

الوعي الذي يصدر عنه، والحاجة الملحَّة إلىٰ نمط جديد من التأليف في هذا الحقل المعرفي، يكون أقرب لـ«الإحياء الجديد» بكل ما يعنيه هذا التعبير غير المجازي بالمرة.

ومن هنا فإن الحفاية به، وبتحليله ومراجعته آكدة من أكثر من منظور، يأتي في المقدمة منها: المنظور المعرفي الذي يستهدف تطوير وسائل علم تحقيق النصوص، أو النشر النقدي للنصوص، ووضع نهاية حاسمة لعملية «التناسل»، علىٰ حد تعبير «التصدير» أو «الاستنساخ»، علىٰ حد تعبير هذه المقالة أو هذه المراجعة النقدية.

إن جدوىٰ معاودة فحص مشكلات هذا المجال المعرفي «تحقيق النصوص التراثية»، ظاهرة جدًّا في مآلات العلم الراهنة التي توشك أن تدخل به إلىٰ نفق مظلم ترتفع عليه لافتة بعنوان (الجمود)!

ولا شك أن استنقاذ علم من أثبتِ علوم الأمة، وأخطره وزنًا من قضية الجمودِ عملٌ جدير بالتقدير، وجديرٌ بدفعه، وتشجيعه بامتياز. يقول فيصل الحفيان، مؤلِّف الكتاب، وصاحب التصدير، للكتاب الدوري المُحَكَّم الذي يصدر الكتاب بما هو أول إصدار فيه: (ص١١):

«إن التحقيق اليوم بحاجة إلىٰ أن يتأسس حقلًا معرفيًّا، ليس من باب التَّرف، ولا من باب تحويل الوسائل إلىٰ مقاصد، ولكن من باب أن إشكاليات النصوص لا تنتهي، وأن مقاربات هذه الإشكاليات يمكن أن تتعدد، وأن تتفاضل، وقبل ذلك كله، فإن من حق المعرفة، أي معرفة، أن تؤصل نظريًّا، وتكشف فلسفتها، وهو ما يؤثر إيجابًا علىٰ موضوع المعرفة ذاتها».

وهذا الوعي الذي يؤكده صاحب الكتاب الأول من هذه السلسلة، وصاحب التصدير الذي يحمل عنوانًا كاشفًا عن هذا الوعي وهو (ص٩): «**نحو تجديد النظر في**

التحقيق» يستصحب الدافع الثاني لدعوته الإحيائية التي تسكن رحم دلالة التجديد بما هو «مصطلح» يعكس إرادة الانعتاق من حالات الغيبوبة، أو الغياب، أو المرض، أو التراجع، أو الضعف، أو هي جميعًا.

والتجديد لفظٌ حيويٌّ كاشف عن إمكان استبقاء الحياة في الكائن بعد جهد على طريق استنقاذه. بهذا استُعمل في بيان الطريق الإحيائية عندما تحيط بالحضارة والإنسان أجواءُ الفتنة والمحنة في أي من دروب الحياة، وفي القمة من هذه الدروب طريقُ العلم والمعرفة.

إن جدوى معاودة النظر والبحث في مسائل هذا العلم ماثلةٌ في روح إنسانية إيمانية حضارية تستهدف تجاوز ثلاثة معوقات أساسية - في طريق تأسيس حقل معرفي ينهض لتعميق التنظير لمسائل علم تحقيق النصوص، وتأصيلها - هي: (ص١٢):

أولًا: حالة «الدَّعة» والكسل المعرفي.

ثانيًا: حالة «التقليد» والاستنساخ.

ثالثًا: «الاستهانة» بالتحقيق، وامتهانه، والانتقاص من تقدير قيمته.

١- الكتاب: مادته، وانتماؤه المعرفي، وقيمته

١/١- مادة الكتاب

يتكسر هذا الكتاب من:

٠: إضاءة تكشف عن حدود الأطروحة الجديدة.

وخمسة مباحث هي:

١: النص التراثي (تصنيفه/ وهويته/ وقراءاته).

٢: القراءة: تأصيل المفهوم (لغة/ وتأصيلًا تاريخيًا).

٣: التحقيق والقراءة (قراءات النص / وبين التحقيق والتأويل).

٤: قراءة محمود شاكر.

٥: قراءة التحقيق (البناء الجديد للنص / طبقات قراءة التحقيق وخصائصها).

وخاتمة: يدعو فيها إلى النظر إلى هذا الكتاب - المحاولة - بوصفه إبرازة أولى، قابلة لمعاودة النظر، وانفتاح آفاق التعديل لما تطرحه.

١/٢- الانتماء المعرفي للكتاب

إن فحص ثلاث مناطق من الكتاب هي:

أ. خطاب عنوانه، وعنوانات مباحثه.

ب. خطاب تصديره ومقدمته وخاتمته.

ج. متنه، وتحليلات مسائله.

د. خطاب جهازه الاصطلاحي على امتداد الكتاب.

تكشف جميعًا عن حُزْمة من الانتماءات المعرفية التي يمكن أن ندَّعي إحاطتها بهذا الكتاب، وفي ما يلي بيان ذلك:

١/٢/١- حقل علم تحقيق النصوص التراثية (= النشر النقدي للنصوص)

يعد حقل علم تحقيق النصوص التراثية، أو النشر النقدي للنصوص، أظهَر الحقول المعرفية التي ينتمي إليها هذا الكتاب؛ لأسباب كثيرة أهمها «خطاب المقاصد»، فهذا الكتاب يتغيا في الحقيقة افتتاح السعي نحو تأسيس حقل معرفي، وهو ما يعلنه المؤلف بقوله: (ص١٢): إن «مقصد هذا الكتاب الدوري... يسعى إلى التفكير النظري في التحقيق».

وهذا الكتاب الذي نُدير حوله هذه المراجعة هو أول إصدارات هذا الكتاب الدوري (مقالات في التحقيق).

والأدلة - بجانب ما سبق - متضافرةٌ للإعلان عن انتماء هذا الكتاب إلى حقل التنظير والتأسيس الجديد لعلم تحقيق النصوص التراثية، ويمثل خطاب المصادر دليلًا مهمًّا في هذا السياق، ذلك أن هذا الكتاب اشتبك مع عدد كبير من أدبيات تحقيق النصوص التراثية موزَّعة على التقاليد الاستشراقية والتقاليد العربية، من أمثال:

براجشتراسر، وعبد السلام هارون، وصلاح الدين المنجد، بالإضافة إلى نفر من الباحثين من الأجيال اللاحقة من أمثال: حسن العثمان، ومحمود مصري ... وغيرهم.

٢/٢/١- حقل الميثودولوجي / مناهج البحث

يمكن أن ينتمي هذا الكتاب إلى حقل الميثودولوجي؛ لأسباب كثيرة يظهر منها: إشاراته المتكررة لأنساق التأليف الحاكمة في ميدان تحقيق النصوص، أو النشر النقدي لها، يقول التصدير (ص٩): «لقد كان الحكم على هذه الكتب (أدبيات التنظير في مجال تحقيق النصوص) التي تناسلت من بعضها، بأنها كتاب واحد - حكمًا عادلًا؛ لا افتئات فيه، ولا تجنِّي فيه». وعلَّل حكمه هذا قائلًا: «إذ كيف نحكم لها بغير ذلك وهي ما وصلت إلى أدنى أغراض التأليف الذي ذكرنا، فضلًا عن أن تبلغ أعلاها من: أصالة الرؤية، وجِدَّة المادة، واستقلال المنهج، وخصوصية الغرض».

وهذه المسوِّغات التي ساقها الكتاب بين يدي حكمه على مجمل منجَز المتأخرين في حقل التأليف في علم تحقيق النصوص، تقع في القلب من حقل مناهج البحث بامتياز، مما ترشح لانضواء هذا الكتاب تحت لافتته، وتقدِّم مثالًا جديدًا تطبيقيًّا على بعض تجلياته.

٣/٢/١- حقل تاريخ علم تحقيق النصوص التراثية

في هذا الكتاب كثير من الإشارات التي تنطلق من استجماع لملامح المتابَعة الدقيقة لتاريخ التأليف في علم تحقيق النصوص التراثية؛ فهي تتكلم عن مرحلتين ظاهرتين من هذا التاريخ هما:

أولًا- مرحلة الرِّيادة التي يهيمن عليها أعمالُ ثلاثةٍ هم:

أ. براجشتراسر.

ب. عبد السلام هارون.

ج. صلاح الدين المنجد.

وهي مرحلة يؤرخ لها جديًّا بما لا يتجاوز العقد الأول من النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين (ص١٠).

وهي مسألة تاريخية دقيقة، وإن غاب عنها أسماء مهمة جدًّا من أمثال: عبد الرحمٰن ابن يحيىٰ المعلمي (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) ومحمد مندور (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

ثانيًا: مرحلة التناسل والاستنساخ والاجترار، التي ينخرط فيها مجمل المؤلفين في التنظير لعلم تحقيق النصوص ممن جاء بعد جيل الرواد.

١/٢/٤- حقل تاريخ الأفكار

هذا الحقل فرع مهم جدًّا من حقول الكتابة التاريخية المعاصرة بالأساس، لكنه يقع شركةً بين المعنيِّين - بجانب التاريخ - بالدرس الحضاري، والدرس الثقافي معًا.

وتحليل هذا الكتاب يكشف عن احتفاله بحُزْمة من الأفكار المهمَّة التي تتغير وتتمايز بسبب من تغير المراحل التاريخية التي شهدها التصنيف في هذا العلم من جانب، وبسبب من جدل العَلاقات بين ما هو من الوسائل والإجراءات وما هو من المقاصد والغايات.

والمدهش في هذا الانتماء الذي ندَّعيه لهذا الكتاب هو استصحابه لروح نقدية تلوذ بالتعليل ورصد مخاطر الأفكار المتناسلة.

١/٢/٥- الفيلولوجيا

إن ما يثيره هذا الكتاب من قضايا تتعلق بصورة مباشرة وظاهرة بما يسميه «إشكاليات النصوص» ولا سيما في ظل إقراره أنها إشكاليات لا تنتهي - بدرجة امتياز في حقل الفيلولوجيا؛ بوصفه مجالًا معرفيًّا يُعْنَىٰ بدراسات النصوص القديمة، وفي تناول الكتاب للنص التراثي في البحث الذي خصصه لفحص هويته وتصنيفه علاماتٌ ظاهرة حاكمة علىٰ قبول هذا الانتماء المعرفي.

١/٢/٦- حقل الدراسات الثقافية النقدية المقارنة

ثم إن هذا الكتاب ينتمي إلى حقل الدراسات الثقافية النقدية المقارنة التي تستصحب مجموعة من منجَز عدد من الحقول المعرفية التي تتعامل مع مصطلح «القراءة» بوصفه مصطلحًا مركزيًّا في هذا الكتاب يطمح إلى أن يكون موازيًا للمصطلح المركزي الأكثر استقرارًا وهو «التحقيق».

وهذه الدعوى بانتماء هذا الكتاب إلى هذا الحقل يدعمها أمران:

أولًا: الاشتباك مع مفاهيم القراءة في العِرْفانيات (دراسات التصوف).

والنقد الأدبي الحداثي، والتأويل / الهرمينوطيقا.

ثانيًا: اللعب على تخليص مفهوم «القراءة / التحقيق» من التصورات الأخرى للمصطلح في الحقول المعرفية المختلفة بهدف بيان خصوصيته، وتمايزه، وهو ما لم يكن من الممكن تحصيله من دون مقارنات تلوذ بذكر الفروق، والاختلافات التمايزات الاستعمالية.

٣/١- قيمة الكتاب

تتعاضد المحددات التي تمنح هذا الكتاب قيمته الرفيعة، وهي محددات جاءته من اعتبارات متنوعة، يمكن بيانها بإيجاز في ما يلي:

أولًا: نبل المقصد الغاية؛ ذلك أنه يطمح إلى افتتاح طرق التأسيس المعرفي لحقل علم تحقيق النصوص في إحيائه الجديد، بوصفه حقلًا معرفيًّا مستقلًّا.

ثانيًا: طبيعة المؤسسة التي أصدرت الكتاب؛ فهي أرفع مؤسسة بحثية تُعْنَىٰ بشؤون المخطوطات، ودراستها، وصيانتها، وحفظها، وتحقيق نصوصها.

ثالثًا: مكانة المؤلف المرقومة من منظورين هما:

أ. **منظور المكانة العلمية** التي تعكسها كتاباته في الشأن التراثي، ومناقشة مشكلاته، والإسهام في خدمة قضاياه وبحوثه.

ب. منظور المكانة الإدارية في سلم القيادة الثقافية بوصفه مديرًا لمعهد المخطوطات العربية، وهو المنصب الذي يستصحب تاريخًا طويلًا سابقًا خلفه.

رابعًا: طبيعة النَّسق التأليفي للكتاب؛ فهذا الكتاب تأصيلي، يلجأ لتحقيق غاياته إلى منهجية بحثية مركبة تعتصم بمراجعة الأدبيات السابقة في المجال، وتفحصها وتُقارن بين نتائجها، وتستخلص خصائصها، وتعتصم بتصميم أصيل مبتكر يردفه اقتراح بحزمة من المصطلحات الجديدة، وتعتصم كذلك بروح نقدية وتعليلية مستمسكة في هذه المراحل جميعًا بالتوثيق الذي يتجلى في الاستشهادات المرجعية متعددة الوظائف.

٢- «التحقيق والقراءة»: قراءة في خطاب المسؤوليات

إن تحليل هذا الكتاب: مادة، وغاية، يكشف عن انطلاق مؤلِّفه من روح تتحمل حُزْمة من المسؤوليات يمكن الكشف عنها في ما يلي:

٢/١- المسؤولية العلمية

لقد كان الهاجس وراء الاشتغال بهذا الكتاب الدوري من جانب، وبالإصدار الأول / التأسيسي منه - كما يظهر من تصديره - نوعَ شعور حادٍّ بالمسؤولية العلمية التي تتغيا فتح دروب جديدة مانعة من الوصول إلى حائط سد، أو إلى درب الجمود والانغلاق، بعد أن تفشت واستفاضت علاماته المتمثلة في تنامي «التناسل» والاستنساخ بوصفه صار بالنسق التأليفي (التلفيقي) المهيمن على أدبيات التنظير في علم تحقيق النصوص التراثية في التقاليد العربية المعاصرة بعد أن أدى جيل الرواد واجبهم نحو قواعد هذا العلم.

٢/٢- المسؤولية الحضارية

كما يظهر نوع شعور - لا تخطئه العين الفاحصة، يمكن تسميته «المسؤولية الحضارية» التي تروم التخلص من أجواء الكسل المعرفي، ومحيط التقليد والاجترار؛

لكي يتروىٰ الباحثون المعاصرون ما يلزمهم من جهد تأصيلي وتأسيسي علىٰ غرار ما أدَّاه علماء الأجيال السابقة، سواء في جيل التأسيس / الاختراع الأول في أروقة حقل علم الحديث النبوي والتاريخ قديمًا، أو التأسيس / الابتعاث الحديث بتأثير من التقاليد الاستشراقية في أروقة جيل الرواد المعاصرين: المعلمي، وهارون، والمنجد ... وغيرهم.

٣/٢- المسؤولية الأخلاقية

إن اشتغال العقل والضمير بسؤال التجديد في حقل المعرفة هو بالضرورة اشتغال بسؤال الأخلاق من طريق عملية؛ ذلك أن الوفاء العملي للرواد - إنْ في التراث وإن في بدايات الظهور المعاصر لعلم تحقيق النصوص في التقاليد العربية المعاصرة - يفرض البناء علىٰ ما أسهموا به في تشييد قواعد هذا العلم، وصناعة تراكم حقيقي يتجاوز آفاق «التناسل» والاجترار إلىٰ آفاق تأسيس حقل معرفي يسعىٰ إلىٰ (ص١٢) «التفكير النظري في التحقيق، وإثارة إشكالاته، في محاولة لتجاوز الجدار العالي والسميك للإجراءات وترتيبها وتأكيدها وأهميتها، وللكلام المكرور المعاد بما يلزم من معرفة وثقافة وخبرة بالمصادر وصبر وأمانة ويقظة وحذر».

ولعل الخطاب الأخلاقي يظهر مدعومًا في نسبة المؤلف ما رآه قريبًا من منحاه إلىٰ بعض المعاصرين (ص١٩).

٤/٢- المسؤولية الفردية

إن التقدم إلىٰ الفراغات المعرفية - إن صحَّ التعبير - بنمط من الأعمال التي تكسر حالة الصمت وتقتحمها، وتشغل حيزًا من الفراغ الممتد، هو نوع قيام بالمسؤولية الفردية بامتياز، وهو استجابة واعية بدواعي الإيمان الإيجابي العملي بضرورة العمل لمن يرىٰ نفسه مالكًا لبعض من القوىٰ والقدرة علىٰ تقديم عمل يضرب المثال، ويهدي إلىٰ بعض الطريق.

٣- «التحقيق والقراءة»: آفاق الاستثمار

ينطلق هذا الكتاب من إرادة افتتاح الدعوة إلى تأسيس حقل معرفي مستقل لنظرية تحقيق النصوص التراثية أو النشر النقدي على وفق الاصطلاح الشائع في التقاليد الاستشراقية.

وقد أفضت قراءة هذا الكتاب؛ وتحليله إلى تأكيد جملة من الحقائق يمكن رصدها في ما يلي:

٣/١- **الكشف عن استيعاب مقولات التراث.** يمكن أن تكون مفتاحًا صالحًا من بعض الوجوه للتأسيس المستقل لعلم تحقيق النصوص بوصفه مجالًا تجديديًّا لازمًا، وهو الأمر الذي تجلى في استدعاء عدد من التصورات المشتبكة مع التحقيق من لدن المجالات العرفانية (ص١٩)؛ والتفسير وعلوم القرآن الكريم (ص٣٤)، وعلم مصطلح الحديث (ص٣٥)، وهو استدعاء مهم استوعب فيه المؤلف السياقات التعليمية (البيداغوجية) والسياقات المعرفية (الإبستمولوجية).

٣/٢- **تمايز الفروق وصناعة الحدود والضابطة.** لعل أهم ما بلغ النظر في هذا الكتاب / المحاولة - هو ما يتمثل في إرادته تشييد جسور تفصل بين المتقارب من المفاهيم، وفك الاشتباك بين المتداخل منها عن طريق صناعة حدود ضابطة، تعين الفروق المتمايزة وهو ما أنتج، على مستوى تعيين قراءات النص، ما يلي:

أ. **قراءة اللفظ**، التي تستهدف استدعاء صورته التاريخية الأولى، وهي بذلك (ص٤٢) تعد «العملية الإجرائية الأولى» أو «الأداة التي يمكن بوساطتها الوصول إلى التحقيق»، وهي ترادف عنده «قراءة التحقيق».

ب. **قراءة المعنى**، وهي ترادف عنده قراءة التأويل والتفسير، وقد استطاع الكتاب أن يبنيَ حدودًا مائزة تفرق بين أنماط القراءات التالية:

قراءة الاستكشاف، وقراءة الإضاءة، وقراءة التكشيف بما هي قراءات تستهدف تحقيق النص، إن على مستوى التحقيق الابتدائي، وإن على مستوى التحقيق النهائي.

٣/٣- الكشف عن منهج استثمار الأدبيات المعاصرة، والقدرة على «الفرز» لاستبقاء الجدير منها بالاستبقاء.

وهو الملحظ المنهجي الذي تجلى من التثاقف حول تجرِبة محمود شاكر - رحمه الله - في تحوله إلى مصطلح «القراءة» وإيثاره له.

وقد تذرَّعت مثاقَفته لمنجَز محمود شاكر بنقطة منهجية تمثلت في مراجعة تواريخ صدور مفردات هذا المنهج؛ ليقرر أن العام ١٩٧٤م كان نقطة تاريخية فاصلة في تحولات الرجل في حقل استعمال مصطلح «القراءة» بديلًا عن مصطلحات: التحقيق والتصحيح.

٤- التحقيق والقراءة: خطاب ما يتبقى

إن السؤال الجوهري في تحليل هذا العمل، وفحصه ينبغي أن يتوجه إلى سؤال ما يتبقى منها، وقد أمكن أن نخرج بجملة مما تستنبته هذه المحاولة في تربة استزراع قواعد تحقيق النصوص بما هو حقل معرفي مستقل يرجى تأسيسه أو إحياؤه من جديد:

وفي ما يلي محاولة لبيان هذه الجملة الصالحة من خطاب ما يتبقى من هذا الكتاب المفتاحي:

١/٤- الوعي بخطاب المصادر

إن أعلى ما يثير في هذه المحاولة هو استثمار خطاب المصادر في استصحاب أدبيات تحقيق النصوص التراثية المعاصرة، فقد كشف عن ثلاثة من خصائص التعامل معها هي:

أ. الروح الاستيعابية المتابِعة للأدبيات المنجَزة.

ب. الروح التحليلية الغوَّاصة في قراءتها، وتفكيكها.

ج. الروح المقارِنة التي تقف على الفروق، وتحصيل المنطلقات.

٢/٤- التنظيم

تعالج هذه المحاولة أمرها بقدر عال من التنظيم، وهو الأمر الذي يظهر على مستويات وأصعدة مختلفة، تتبنى استلهام خطاب المراحل، والتزمين، وهو ما نراه في تنظيم قراءات النص على وفق منظور المراحل أو ما يسميه بتعبيره (ص٥٤): «التراتبية» مع الوعي في الوقت نفسه بحضور «الاستقلالية» (ص٥٥) في معالجة المحقق لكل قراءة من هذه القراءات!

إن هذا الحرص على رعاية التنظيم ظهر في ترتيب القراءات كما يلي:

١. قراءة الاستكشاف.

٢. قراءة النقد (= التحقيق).

٣. قراءة الإضاءة.

٤. قراءة التكشيف.

٥. قراءة الدرس.

٣/٤- الانضباط المنهجي

إن أهم ما يتبقى من هذه المحاولة التي يرجى البناء عليها، ووصلها بغيرها - هو انطلاقها من إطار منهجي منضبط، استدعى الملامح التالية:

١. تعيين نقطة بحثية ضابطة.

٢. استيعاب جمع مادتها العلمية.

٣. تصنيفها تصنيفًا قائمًا على جملة من المعايير الضابطة.

٤. استصحاب نطاق تحليلي، يناقش، ويفرز، ويعلق، ويفسر ... إلخ. وفي هذا السياق نلحظ حرصًا شديدًا على الاحتراس.

٥. استصحاب نطاق نقدي، يتأسس على المقارنة.

٦. استصحاب جهاز اصطلاحي مستقر، واقتراح جملة من المصطلحات، والتدليل على وجاهة اقتراحها.

٤/٤- البيان والوضوح

إن إشكالية هذا الكتاب، والفلسفة التي تقف في خلفيته، جعلت منه عملًا صعبًا، تواجهه فروقٌ كثيرة بين متشابهات عدة، ومع ذلك فقد تمتعت معالجته بقدر ممتاز من البيان والوضوح، والدقة التي أسهمت في ظهور أسلوبية الاستطراد لإحكام الصياغة، وتوضيح الفروق بين المفاهيم المتقاربة، ومن أعلى تجليات تحقيق البيان استعمال الخرائط الذهنية، والأشكال التوضيحية في كل مباحث الكتاب.

٥- التحقيق والقراءة: تعليق نقدي

إن تحليل هذا الكتاب من جانب وتيسير استثماره، واستلهام مشْكِله المعرفي يفرضان نوعًا من ضرورة التثاقف حول بعض أطروحاته من مدخل نقدي، وفي ما يلي بيان لبعض هذه الأطروحات:

١/٥- الحماسة قد تخفي بعض وجوه الحقيقة

إن فحص تصدير الكتاب يكشف عن روح حماسية، حملت المؤلف على نوع من «القسوة» في وصم أدبيات تحقيق النصوص المعاصرة بالتناسل، وأنها جميعًا كتاب واحد(ص٩)، وأنها نبعت من رحم الإعانة على «التعليم» (ص١٠) ... إلخ.

وهذا الحكم الحماسي صحيحٌ في الجملة، لكنه يشهد استثناءات - وإن تك قليلةً - فهي قائمة، ولعل العبارات التي جرت على لسان المؤلف - وصفًا لأحكامه على هذه الأدبيات بالتناسل - من مثل (ص٩): «لا افتئات فيه ولا تجنِّي» ، قد جاءت شعورًا منه بغير ما ينفيه، ولا سيما أن ثمة محاولاتٍ سابقة حاولت أن تتوقف أمام قراءة النص» في حقل التحقيق بصورة مستقلة، كان من الممكن تلمُّس بعض الرؤى الجديدة فيها.

٢/٥- نقص أحاط ببعض التقسيمات

ثمة ما يحتاج في «الإبرازات» التالية لهذا الكتاب إلى المراجعة والاستكمال؛فقد ذكر المؤلف (ص٥٩) في سياق حديثه عن مراحل إعادة البناء، أن مرحلة الإصلاح أو إصلاح النص بالنص؛ أي بالنسخ تنهض على جهتين:

١. جهة الاكتمال.

٢. جهة الاستواء، وقال «وجهة الاستواء، وإنما يتحقق بأربعة أعمال: (ثم ذكر ثلاثة فقط) هي:

- نفي الزيادة.
- حذف التكرار.
- تسوية الاضطراب»!

٣/٥- ضرورة استفاضة التنظيم ليشمل مفاصل المحاولة كلَّها

كشفت هذه المراجعة العلمية عن حضور سمة منهجية بارزة هي «التنظيم»، ومع ذلك ثمة مواضع تحتاج إلى ضبط هذا التنظيم، منها:

- عدُّ أرقام مكوناتِ الخارطة الذهنية أو الشكل التوضيحي (ص٢٧/شكل٥) من اليسار إلى اليمين، والأولى والأرقام بالعربية ابتداء العد من اليمين إلى اليسار، وتصحيح ترتيب مكونات العمل في النص تبعًا لتصحيح جهة العدِّ المكانية.

٤/٥- ضرورة استفاضة محددات البيان والوضوح

كشفت هذه المراجعة عن حضور طاغٍ لسمة الوضوح والبيان في هذا الكتاب، ومع ذلك هناك بعض المواضع تحتاج إلى فضل بيان، منها:

أ. مراجعة الاقتراح بشأن مصطلح «قراءة الترشيد»؛ ليكون «قراءة التشغيل»،

منعًا من توهُّم معـان أخرىٰ مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمفهـوم الترشـيد؛ كالتلخيص، أو التقريب، أو التيسير، وكلها أعمال قائمة في مجال الدراسات التراثية.

ب. مراجعة بعض العبارات التي تتطلب قدرًا من التوقف في تحصيل المراد منها من مثل (ص١٠): «منذ وضع برجشتراسر وهارون والمنجد متونهم.. في ذلك الزمن المبكر (بين الربع الثاني من النصف الأول، والربع الأول من النصف الثاني من القرن الماضي» والحقيقة أن هذه المحاولات جاءت جميعًا بعد ١٩٥٣م، باستثناء عمل براجشتراسر الذي ولد بعد ١٩٣١م.

صحيح أن النتائج من العبارة صحيحة لكنها تبدو غامضة من جانب، وعامة لا تعيِّن تاريخًا من جانب آخر.

خاتمة

سعت هذه المراجعة العلمية إلىٰ تَهدِّي ما يمكن استثماره من هذا الكتاب الجديد؛ ذي الغاية النبيلة الجديدة، وقد أنتجت جملة من النتائج من مثل:

١. ظهور الجدوىٰ المعرفية والحضارية من دعوة الكتاب الدوري والإصدار الأول منه، المتمثِّل في هذا الكتاب بعينه.

٢. ظهور تنوع الانتماءات المعرفية التي يمكن أن ينضوي تحتها العمل.

٣. ظهور تنوع المسؤوليات التي حملت علىٰ إنجاز هذا الكتاب، وتوزُّعها علىٰ المسؤوليات العلمية والأخلاقية ... إلخ.

٤. تنوع ما يمكن استثماره من الكتاب علىٰ مستويات الأفكار، والاصطلاحات.

٥. تحصيل جملة مهمة مما يتبقىٰ من الكتاب علىٰ مستوىٰ تطوير العلم، وخدمة حقائقه.

وبعد فإن المراجعات العلمية تبقى - بوصفها أعمالًا مركبة - من الأمور التي تزكو بها المؤلَّفات، وتتطور بها العلوم.

المصادر

التحقيق والقراءة: إشكالية المصطلح وثنائية التعامل مع النص، فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، سلسلة: مقالات في التحقيق، رقم (١) ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

